محاضرة 02
تطور نشاط الحركة الوطنية في المغرب الأقصى
1919ـ 1956

إلى جانب الحركة الجهادية التي واجهت المحتل الفرنسي شهد المغرب بروز حركة سياسية لمناهضة سياسة الحماية والاحتلال الأجنبي، نهض بها نخبة من السياسيين المثقفين، وهدفت إلى تحقيق الأهداف الوطنية التي عجزت المقاومة المسلحة عن تحقيقها، وقد ظهرت في وقت متأخر وارتبطت بخصوصيات الهوية المغربية.

أولا: بداية تبلور الحركة الوطنية المغربية

تحكمت ظروف موضوعية في بروز حركة سياسية بالمغرب تخلف مشروع المقاومة العسكرية، ففي شمال المغرب شكلت هزيمة عبد الكريم الخطابي منعطفا هاما لظهور حركة سياسية في المغرب الاسباني، تهدف لتجاوز الإخفاق العسكري عبر العمل السياسي، فأعلن في يوم 2 أوت 1926 عن ميلاد "الرابطة المغربية" كجمعية سياسية منظمة كان من ابرز قادتها أحمد بلافريج والمكي الناصري ومحمد القباج ومحمد بنونة.

وأما الحركة السياسية في المغرب الخاضع للحماية الفرنسية فقد تبلورت في وقت مبكر، وذلك بفضل النخب السياسية المحافظة، ومنها مجموعة كانت تنشط في الصحافة الحرة التي نشأت في طنجة (لسان المغرب) وفي عقد الاجتماعات السرية والدعوة لإرساء دستور ديمقراطي للبلاد، وكان من بينهم المهدي بن الطالب الفاسي وسعيد الفاسي وعبد الحفيظ الفاسي واحمد بن المواز...الخ، كما نشط بعض رجال الدين السلفيين والمتصوفة في نشر الوعي الوطني والدعوة للإصلاح السياسي، وبعضهم تحالف مع الدولة العثمانية والبعض الأخر مع الدول المستعمرة([1])، وخلال حرب الريف والمقاومة المسلحة برزت حركات سياسية تنشط في الخفاء، كانت تدعوا لمؤازرة حركة الجهاد ضد المحتلين، وقد وجدت صدى لها في الخارج، حيث اجتمع العمال المغاربة في فرنسا عام 1925 ووجهوا رسالة

[1] علال الفاسي: المصدر السابق، ص 111ـ 113

تأييد لعبد الكريم الخطابي([2])، كما أن زعماء الشمال الإفريقي اللاجئين في اسطمبول والمؤيدين لفكرة الجامعة الإسلامية طالبوا باستقلال المغرب، واصطف معهم الشيخ محمد العتابي، وهو من علماء القرويين والموظفين في سلك العدالة، استقال وهاجر الى الحجاز ودخل اسطمبول عام 1915، وأصبح مرافعا أساسيا عن قضية استقلال المغرب، نشط في إطار جماعة المؤتمر الإسلامي، وساند الدعاية الألمانية المناهضة لفرنسا، وتنقل بين عدة دول أوربية ملفتا انتباه الساسة والرأي العام والصحف إلى مطلب استقلال المغرب، واستقر أخيرا بمصر([3]).

وكان لسن الحكومة الفرنسية للظهير البربري عام 1930 تأثير بالغ على تبلور الحركة السياسية في المغرب الفرنسي، حيث حاولت الإدارة الفرنسية الفصل قانونيا بين العرب المسلمين والبربر الذين تحكمهم الأعراف القديمة، وأثار ذلك سخطا عارما في المغرب، إذ عقدت الاجتماعات وصدرت البيانات المنددة وقوي العزم على تغيير الوضعية، ففي اجتماع 23 أوت 1930 ظهرت بذرة التنظيم الحزبي السري الذي سيعرف إلى حدود سنة 1934 تطورات هيكلية وتنظيمية واسعة، وقد بادر إلى استغلال مختلف الوسائل للتعبير عن المطالب الوطنية ومنها :

. تحرير العرائض المطلبية وتوجيهها للسلطان وللإدارتين الفرنسية والاسبانية.

. نشر التوعية عن طريق الدروس والتجمعات.

. إصدار الصحف للتعبير عن المواقف الوطنية ومن هذه الصحف صوت الشعب التي كان يحررها محمد الحسن الوزاني([4]).

وبالإضافة إلى النخبة المتخرجة من المدارس الفرنسية بدأت تتشكل مجموعات سياسية يشرف عليها العلماء السلفيون في فاس والرباط وتطوان، وما لبث أن تحول هذا الاتجاه السلفي الى تيار سياسي بارز ونشط، يوجه الرأي العام وينظم المظاهرات ويطالب باستقلال المغرب([5]).

ثانيا : نشاط الحركة الوطنية خلال الثلاثينيات

---

[2] المصدر نفسه ص 146

[3] المصدر نفسه، ص ص 147. 149

[4] امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994 ، ص 189 وما بعدها

[5] علال الفاسي: المصدر السابق، ص . ص 159. 160

في فبراير 1934 قررت السلطات الفرنسية إلحاق محمية المغرب بالإمبراطورية الفرنسية، وهو إجراء قانوني أثار النخبة الوطنية لما يترتب عنه من انعكاسات لا تجعل من المغرب مجرد محمية، ودفعها لمواجهة الوضع الجديد بأداة منظمة، فكان ميلاد "كتلة العمل الوطني"، الذي أعلن عن برنامج للإصلاحات ردا على هذه السياسة، وشملت الإصلاحات خمسة عشر فصلا تناولت مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والقانونية والإدارية، وأكدت على مناشدة فرنساتطبيق معاهدة الحماية وا لغاء كل مظاهر الحكم المباشر"([6]).

وفي عهد الجبهة الشعبية تقوى نشاط الحركة الوطنية وتوسع في كامل المدن المغربية، وقد وجهت "كتلة العمل الوطني" بدءا من ديسمبر 1935 عدة برقيات تطالب بإرساء إصلاحات حقيقية في المغرب لكن الإدارة الفرنسية التي تظاهرت بقبول مطالب الحركة الوطنية شجعت ظهور الانقسام داخل "كتلة العمل الوطني"، وان كانت هي في ذاتها كانت تحمل بذور انقسامها باعتبار أنها تجمع زعامات مختلفة في التكوين والمواقف، وهكذا انفرد علال الفاسي صاحب التوجه الإسلامي بزعامة الكتلة وقرر محمد حسن الوزاني . صاحب التوجه العصري والثقافة الفرنسية . إنشاء حزب جديد، وأصبح المشهد السياسي متقاسم بين حزبين في المغرب الفرنسي هما:

. الحزب الوطني : شرعت كتلة العمل الوطني في تغيير اسمها إلى الحزب الوطني في فبراير 1937 وتزعمها علال الفاسي وأحمد بلافريج وزعامات دينية وأسرية محافظة.

. الحركة القومية: بزعامة محمد الحسن الوزاني، أسست في مارس 1937، وضمت العناصر المثقفة بالثقافة الفرنسية والعصرية التي اختلفت مع توجهات الحزب الوطني.

أما في المغرب الاسباني فبعد وفاة زعيم الحركة الوطنية عبدالسلام بنونة خلفه عبدالخالق الطريس في القيادة، وأسس في جوان 1936 "الكتلة الوطنية بشمال المغرب"، والتي ستعرف ب"حز ب الإصلاح الوطني"، كما أسس المكي الناصري وبتشجيع من الحماية الاسبانية "حزب الوحدة المغربية"، وقد قدمت للحزبين في عهد "فرانكو" تسهيلات واسعة نتيجة دعمهما لسياسته([7]).

---

[6] مطالب الشعب المغربي، 1934، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ص 79.

[7] أحمد عبيد: المرجع السابق، ص ص 248. 251.

وا ٍثر حوادث بوفكران بداية سبتمبر 1937 تعرض "الحزب الوطني" للمضايقة والمطاردة وحجرت صحفه، فقرر الحزب تنظيم مظاهرات عارمة في مختلف مدن المغرب والاحتجاج على السياسة الفرنسية، وعقد في 13 أكتوبر مؤتمره الوطني الذي استنكر السياسة الفرنسية بالمغرب وطلب بمنح المغاربة حقوقهم السياسية، ولكن الإدارة الفرنسية لم تتراجع عن سياستها القمعية والحرب الكونية على الأبواب، فقضت بنفي وسجن اغلب زعماء الحركة الوطنية ومنهم علال الفاسي الذي نفي إلى الغابون، وذلك في الوقت الذي اتبعت اسبانيا في الشمال سياسة معتدلة([8]).

ثالثا: الحركة الوطنية المغربية والحرب العالمية الثانية

ساعدت ظروف الحرب العالمية الثانية على عودة النشاط السري للوطنيين المغاربة، وازداد الوعي الوطني قوة بانتشار دعاية طرفي الصراع، ولكن انهزام فرنسا، ثم رجحان كفة دول المحور ونزولهم بالمغرب كان له ابلغ الأثر في دفع الحركة الوطنية لرفع مطالبها عاليا، وقد حصل إجماع على تغيير إستراتيجية حزب الاستقلال، فتحول للمطالبة بالاستقلال كمدخل للإصلاح في بداية عام 1943، كما أن لقاء محمد الخامس . روزفلت كان عاملا مشجعا للضغط على فرنسا والمطالبة بالاستقلال، وكانت وثيقة الاستقلال التي رفعها حزب الاستقلال في 11 جانفي 1944 منعرجا حاسما في النضال المغربي، وقد ظهر جليا تمسك الملك وأطياف الحركة الوطنية بمبدأ الاستقلال ورفض المشروع الديغولي القائم على الإصلاح داخل "المجموعة الفرنسية"، وكان للتطور الاجتماعي والسياسي والثقافي المستجد بالبلاد يوحي لجميع الوطنيين بأن الوقت قد حان لإجبار فرنسا على تغيير نهجها السياسي بالمغرب، وخاصة وأن هناك من المبررات الدولية ما يجعل ذلك قابلا للتحقيق([9]).

رابعا : الحركة الوطنية وتجسيد الاستقلال في المغرب

لقد جابهت سلطات الحماية مطالب الحركة الوطنية بتهدئة الأوضاع وا ٍصدار برنامج للإصلاحات الداخلية رفضته الحركة الوطنية على لسان علال الفاسي وعبد الكريم الخطابي اللذين التحقا بالقاهرة وبدأ نشاطهما بتشكيل مكتب المغرب العربي وتنسيق العمل لتوحيد كفاح الشمال الأفريقي، وكان سلطان المغرب محمد الخامس رغم ضغوط الإدارة الفرنسية

---

[8] دوجلاس أي اشفورد: التطورات السياسية في المملكة المغربية ، مرجع سابق، ص ص 59. 60

[9] انظر الشاوي عبد القادر : حزب الاستقلال 1944. 1982، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ص20 وما بعدها.

يؤيد فكرة الاستقلال، ويدعم نشاطات حزب الاستقلال سرا لمواجهة السياسية الاستعمارية وظهر موقفه واضحا في خطاب طنجة سنة 1947، إذ طالب باستقلال بلاده وأكد ارتباطها الدائم بالشمال الأفريقي والعالم العربي([10])، واستطاع حزب الاستقلال تجنيد فئات الشعب وخاصة الطبقة الحضرية بالمدن للتمسك بمطلب الاستقلال، وفي سنة 1952 عمت المغرب المظاهرات وأعمال العنف مما جعل سلطات الحماية توجه له حملة منظمة من الاعتقالات والقمع للقضاء على وجوده السياسي، ثم توجهت بمشروع للإصلاح الإداري والسياسي بالمغرب رفض السلطان التوقيع عليه، وبدأ الاصطدام بينه وبين ممثل الحماية جوان وا ِثر رفض محمد الخامس لطلب جوان بإدانة أعمال حزب الاستقلال بدأت الإقامة العامة الفرنسية تفكر في عزل السلطان عن عرشه، وخططت لذلك مع أعوانها الإقطاعيين، إذ نظم التهامي الجلاوي حملة دعائية لمهاجمة سلطة الملك وناد باختيار خليفة جديد للمغرب مقدما ابن عرفة المتقدم في السن للمبايعة، وهكذا تم عزل الملك محمد الخامس ونفيه إلى جزيرة مدغشقر 20 أوت 1953، وتبين للسلطات الفرنسية أنها تخلصت من محمد الخامس، لكن هذا الإجراء أثار دهشة عارمة في أوساط المغربيين وحتى في الجزائر([11])، حيث أعطى دفعة جديدة للحركة الوطنية المغربية التي طالبت بعودة الملك والتسليم بالاستقلال([12])، واندلعت المقاومة الحضارية المسلحة وحركة الفداء بالمغرب ودون تنسيق مع الأحزاب الوطنية . مثلما حدث بتونس . وسارع حزب الاستقلال لاحتوائها والمساهمة فيها بدور لا ينكر([13])، كما كثف من عمله الديبلوماسي والإعلامي على الصعيد العربي والدولي لتدويل القضية المغربية والدعوة لاستقلال المغرب، وفي مارس 1954 شكل حزب الاستقلال حركة المقاومة المغربية التي خاضت كفاحا مسلحا بمناطق الريف وبالتنسيق مع الثوار الجزائريين بدء من يوم 2 أكتوبر 1955.

---

[10] jean. LACOUTURE . Op cit .p p .204- 205

[11] نددت مختلف فصائل الحركات الوطنية بخلع الملك ودعت لإعادته إلى العرش، كما استنكرت موقف الحكومة الفرنسية، أنضر المنار: السنة 3 العدد 49 (20 نوفمبر 1953)، ص 1

[12] أنظر التصريح الذي بثه الفاسي من إذاعة صوت العرب بالقاهرة مطالبا فيه بعودة الملك ومعلنا انطلاق المقاومة، الفاسي علال: نداء القاهرة، ط1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1959، ص 3 _4

[13] أنظر الشاوي عبد القادر ،مرجع سابق، ً 32

وهكذا أصبحت السلطات الفرنسية تفكر جديا في قضية تعاون جيوش التحرير للمغرب العربي وتخشى تأزم الموقف، فدعت بعد أسبوع من اندلاع المقاومة قادة الحزب المعتدلين لحل المشكلة المغربية، وأبدت استعدادها للتفاوض على أساس إيقاف المقاومة المسلحة ومنح البلاد الاستقلال وعودة الملك محمد الخامس، وبوشرت مشاور ات إكس ليبان في أكتوبر 1955، وتمكنت السلطات الفرنسية خلالها من تمرير أهدافها والمماطلة في إنهاء مفاوضات الاستقلال النهائية الى غاية يوم 2 مارس 1956، وقد كان الاستقلال المعلن ناقصا ومشروطا بالتبعية الاقتصادية والسياسية لفرنسا، وقد عبرت حركة المقاومة عن استمرارها في المقاومة الى جانب الجزائر، لكن قادة حزب الاستقلال والقصر أرغمتها على إنهاء نشاطها بالشمال وتحويله إلى مناطق الجنوب([14]).

وقد لقيت مهمة بناء الدولة المغربية بعد الاستقلال صعوبات ومسؤوليات جديدة، ففي حين كانت عناصر جيش التحرير الوطني تدعوا إلى تعزيز دعم الكفاح الجزائري كان التوجه القطري يعمل على تعزيز الاستقلال والتعاون مع فرنسا فنيا واقتصاديا، ومثل استمرار الثورة الجزائرية تهديدا واضحا للعلاقات المغربية . الفرنسية، كما أن التطور السياسي كشف عن وجود قوى اجتماعية متناقضة داخل المغرب، بعضها هيأ لها الاستعمار سبل الاستمرار وأدى تحالفها مع القصر إلى تفويت الفرصة على حزب الاستقلال في تطبيق برامجه الإصلاحية، وعلى الرغم من إسهام هذا الأخير في الإشراف على الحكومة إلا أن الاختلافات السياسية والتناقضات التي كان تجمعها أدت في بداية سنة 1959 إلى ظهور الانشقاق في صفوفه، وذلك بظهور جناح الاتحاد الوطني للقوات الشعبية([15])، وهو الأمر الذي جعل ميزان القوى في المغرب يميل لصالح القصر و دوائره.

ومن خلال ما سبق نستخلص أن حركة المقاومة السياسية في المغرب ارتبطت بحركة المقاومة المسلحة، وبرزت خلال العشرينيات في شكل غير منتظم، وكان لصدور الظهير البربري تأثير بارز على نمو نشاط الحركة الوطنية في المغرب، حيث كانت حملة الشجب والرفض قوية والعزيمة على بلورة نشاط سياسي وطني أقوى، وخلال الثلاثينيات انتظم نشاط

---

[14] الشاوي عبدالقادر : المرجع نفسه، ص40

[15] **انظر جبرو عبد اللطيف:** إكس ليبان، ملفات وحقائق، **مطبعة إكسيل برنت،الرباط ،2002 , ص . ص، 33 . 36.**

الحركة الوطنية في أحزاب رسمية، طالبت بتكريس الحقوق السياسية للمغربيين وا لغاء الحماية الفرنسية على البلاد.

كما أن الحركة الوطنية في المغرب تميزت بانقساماتها الطولية والعرضية، ومع ذلك فان القواسم الوطنية كانت دائما تجمعها للدفاع عن المصالح المشتركة، وقد ساعدتها المحن والسياسات الاحتفالية في تقوية نشاطها وترشيده باتجاه المطالبة بالاستقلال والتمسك بسلطة الملك باعتبارها ضمانة لتكريس الوحدة الترابية، وانه وعلى الرغم من المسيرة النضالية الشاقة التي قادتها النخب الوطنية وعلى رأسها حزب الاستقلال فان مفاوضات الاستقلال لم تصف التركة الاستعمارية بالطموح المأمول.